٧ - المرأة المصرية والتعليم الجامعي [١]

بعد أن افتتحت الجامعة المصرية رسميا في ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ رأي بعض القائمين علي أمرها ضرورة الأخذ بيد المرأة المصرية والارتقاء بها أدبيا وعلميا ، ومن أجل ذلك خصصت الجامعة ابتداء من العام الثاني من افتتاحها محاضرات خاصة بالسيدات تشمل تاريخ المرأة علي مر العصور ، وبالرغم من الحذر الشديد في اتخاذ هذه الخطوة خشية غضب المحافظين علي التقاليد ، ومفاجأة الرأي العام بشيء لم يستعد له فان بعض الصحف المصرية باركت ذلك الاتجاه وهللت له وشجعت علي دراسة العلوم النسائية للنساء موضحة أن النساء المصريات في حاجة كبيرة إلي من يصقل أفكارهن ويقوم اعوجاجهن ويرفع عنهن غشاوة الجهل فطالبت جريدة « الظاهر » بانشاء جامعة للنساء حتي يتعلمن ما لهن وما عليهن فقالت « نريدهن متعلمات عارفات بكل ما يجب لهن وعليهن بارعات في تدبير المنزل والنظر في شئون أطفالهن ، فمن شاء اصلاح مصر وترقيتها حقيقة فليجهر معنا بضرورة لزوم جامعة للنساء يتعلمن فيها علم تدبير المنزل وتربية الأولاد [٢] وقد أيدت اللواء ذلك فطالبت بانشاء جامعة للنساء موضحة أن اصلاح البلاد لا يتم بدون انشاء مثل هذه الجامعة [٣] .

ولا يعني هذا أن اللواء في مناداتها بانشاء جامعة للنساء قد تراجعت عما نادي به مصطفي كامل بضرورة فرض الحجاب علي المرأة ورفضه لفكرة التحرر من قيودها فقد حددت في مناداتها بانشاء هذه الجامعة أن يقتصر التعليم علي ما يساعد المرأة في تدبير شئون منزلها وتربية أولادها وتهذيب أخلاقها ليتكون منها امهات المستقبل .

---

(١) ألقي هذا البحث في سمنار كلية البنات جامعة عين شمس .

(٢) الظاهر : العدد ١١٤٩ في ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ تحت عنوان « جامعة النساء » .

(٣) اللواء : العدد ٣٣٧٤ في سبتمبر ١٩١٠ تحت عنوان « جامعة النساء الشرقيات » .

ونتيجة لتشجيع بعض الصحف للجامعة الوليدة علي السير في خطاها نحو تعليم المرأة قررت الجامعة انشاء قسم نسائي بها اقتصر التدريس فيه أول الأمر علي محاضرات في علم نفس المرأة والفلسفة والتربية والتاريخ وبعض الموضوعات العصرية هذا بالاضافة إلي تدريس بعض الموضوعات الأساسية في علم الصحة والطب [١] .

ولما كانت الدراسة بالجامعة للرجال في المساء فقد رأت الجامعة أن تكون الدراسة بها للنساء في الصباح حرصا علي تجنب التلاقي بين الجنسين داخل أروقتها .

وعلي الرغم من تعنت التقاليد وشدتها في ذلك الوقت فإنه يتضح من وثائق الجامعة الأهلية أن عدد النساء اللاتي خاطرن بدخول الجامعة في عام ١٩١٠ كان ستة وثمانين قيد جميعهن كطالبات مستمعات وكان عدد المصريات منهن خمسا وثلاثين أما الباقي فكن من جنسيات مختلفة ، وإذا قسنا ذلك العدد بعدد الرجال فإننا نجد أن عدد الرجال المقيدين بالجامعة في نفس هذه السنة كان ثلثمائة وسبعة عشر طالبا أي أن عدد الطالبات بالنسبة لعدد الطلبة كانت تزيد نسبته عن الربع وهذه نسبة ليست بالقليلة إذا نظرنا إليها في ضوء تقاليد ذلك العصر . وقد يدفعنا ذلك إلي أن نتساءل عن نوعية النساء المصريات اللاتي حضرن إلي الجامعة في ذلك الوقت للاستماع إلي محاضراتها الواقع أن المواظبات منهن علي حضور تلك المحاضرات كن من عقائل البيوتات المصرية منهن هدي شعراوي وصفية زغلول وفاطمة عمر شقيقة عبد العزيز باشا فهمي ، هذا بالاضافة إلي عقيلات وكريمات بعض الباشوات أمثال ارتين وقطاوي ورشدي وذو الفقار ولم تكن هؤلاء كل من التحقن بالجامعة مستمعات من بنات مصر بل كانت هناك معهن أميرات من الأسرة المالكة أمثال فاطمة فاضل وعين الحياة [٢] .

---

(١) الظاهر : العدد ١١٤٩ في ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٢) للتفاصيل انظر : تقويم جامعة القاهرة ٦٩ ـ ١٩٧٠ .

وقد وصفت احدي النساء حضور المستمعات إلي مبني الجامعة ، فقالت « تقاطرت العربات والسيارات مقلة كرائم السيدات وعقائل البيوتات ، وكانت وجهة هذا الجمع الرقيق من الجنس اللطيف سراي الجامعة المصرية فدخلن زرافات ووحدانا إلي البهو العظيم المعد لمحاضرة السيدات [١] .

هذا عن المستمعات من الطالبات أما عن المحاضرين فقد كان معظمهم من السيدات وذلك حتي لا تضطر المستمعات إلي وضع الحجاب داخل قاعة الدرس وقد حاضر في هذا القسم النسائي نبوية موسي ناظرة المعلمات بالمنصورة وتركزت محاضراتها في مجال تاريخ مصر الحديث وما يسود العالم من علوم عصرية ولبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق وقد تحدثت عن التربية والأخلاق وأثرهما في حياة الأمم وطالبت بايجاد الوسائل اللازمة لتحسين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد الآداب الصحيحة حتي إذا أصبحن أمهات أدركن ما عليهن من خطر الواجبات [٢] .

وحاضرت رحمة صروف في شئون التدبير المنزلي ، وحاضرت ملك حفني ناصف (باحثة البادية) في حقوق المرأة وواجباتها وموقف الاسلام من ذلك ، كما حاضرت في موضوعات تدور حول « المقارنة بين المرأتين المصرية والغربية وعاداتهما » وكانت تلقي علي مستمعيها النصائح وتبين للحاضرات سيء العادات ومضار الخرافات ومن ذلك ما ذكرته من أن المرأة الغربية تقوم بتغذية طفلها غذاء حقيقيا سريع الهضم . وتتحفظ عليه من موجات البرد والحر نجد المصرية تطعمه أثقل الغذاء وتبادر باعطائه اللحم وما يتعذر هضمه فيصاب بالاسهال والنزلات المعوية ، ولا تكترث لنظافة جسده لئلا يحسده أحد ، وإذا مرض تم علاجه بالتعاويذ والتمائم ، كما تحدثت عن الزار فقالت أنه أبو الخرافات

---

(١) الجريدة في ١٧ ابريل ١٩١٠ تحت عنوان « في الجامعة المصرية » .
(٢) مجلة فتاة الشرق . القاهرة ١٩١٠ - ١٩١١ ، ص ١٦٩ .

ومفسد البيوت ، وأنها لاتدري لماذا اختارتنا العفاريت مسكنا لها ، وتساءلت لماذا لم نلجأ إلي ارسطو وابن رشد وفيثاغورث وغيرهم بدلا من أن نلجأ إلي الشيخة رمانة وسعيفة ويوسف مرقع وغيرهم ممن لا يطلبون إلا الخلاخيل والمصوغات وأوضحت كذلك أن كثيرات من المصريات ادعين ركوب العفاريت اياهن ، ولما ضربهن رجالهن بسبب ذلك لم تعد اليهن العفاريت ولم يطلبن الزار [١] .

واشترك في إلقاء هذه المحاضرات أيضا بعض الأجنبيات مثل الآنسة كوفرور المدرسة بمدرسة راسين بباريس واقتصرت في محاضراتها علي علم النفس والأخلاق كما كان يلقي بعض الأطباء من المصريين والأوربيين محاضرات في حفظ الصحة والعناية بالأطفال [٢] .

ولم يقتصر نظام الدراسة بالقسم النسائي علي ذلك بل أخذ يتطور بتطور نظام الجامعة وبرامج التدريس فيها ففي عام ١٩١٢ أصبحت الدراسة بهذا القسم تشتمل علي محاضرات في التربية وعادات المصريين وتأثير الاسلام فيها ودولة المماليك ، وحروب فرنسا ، وأشهر النساء في التاريخ ، وعلم التدبير المنزلي والتدابير الصحية واختيار المنزل وأثاثه والحياة الزوجية وسعادة الأسرة والآداب المنزلية والأخلاق .

وعند مقارنتنا لهذا البرنامج ببرنامج التدريس الذي سبقه يتضح أن كلا من البرنامجين ركز علي الاهتمام بمواد تهم حياة المرأة الزوجية والمنزلية والأسرية أكثر من غيرها ، وربما كان يرجع هذا إلي أنه لم يكن يتطرق إلي ذهن أحد في ذلك الوقت قيام المرأة المصرية بالعمل بالمصالح كالرجال بل يقتصر دورها علي تدبير شئون المنزل ، وتهذيب الأولاد .

وعلي الرغم من اقبال بعض السيدات والآنسات على حضور هذه

---

(١) الجريدة : العدد ٩٤٤ في ١٨ ابريل ١٩١٠ .

(٢) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة في ١٥ مارس ١٩١١ ، ص ١٢ .

الدراسات في الجامعة فإن الرجال المتمسكين بالتقاليد منعوا زوجاتهم وأقاربهم من حضور هذه المحاضرات ويتضح ذلك من مناشدة بعض النساء علي صفحات الجرائد دون أن يذكرن أسماءهن الرجال ألا يمنعوا زوجاتهم واخواتهم وبناتهم من حضور المحاضرات بالجامعة [١] .

والجدير بالذكر أن إنشاء القسم النسائي بالجامعة قد أثار ثائرة بعض المحافظين فبالرغم من أن معظم المحاضرات كانت تلقيها نساء ، وكانت تتركز علي التربية المنزلية والحياة الأسرية فقد تجمع بعض الرجال أمام الجامعة للتعرض للنساء ومنعهن من الدخول لأن ذلك سيؤدي من وجهة نظرهم إلي خروجهن علي الآداب ، ويرفع عنهن صفة العفاف التي تتحلي بها كل قابعة بالمنزل ، وعندما أرسل عبد العزيز فهمي سكرتير الجامعة خطابات إلي نساء الطبقة الواعية يدعوهن للحضور اعتبر بعض الغيورين علي الأخلاق العامة وجود أسماء نسائية علي أظرف الخطابات ، فيراها رجل البريد بمثابة عار يلحق بسمعتهن ومن الفضائح الكبري التي لا يمحوها إلا الدم ، فأرسلوا خطابات تهديد بالقتل إلي عبد العزيز فهمي إذا لم يكف عن هذا العمل [٢] .

وعلي كل حال فإنه نتيجة لحضور بعض النساء المحاضرات في الجامعة حدثت مناظرات فكرية علي صفحات الجرائد بين معارضى تعليم المرأة ومؤيديه وتصارعت الأفكار بينهما فذكر المعارضون أن البلاد في حاجة إلي أمرأة تحمل ولدها علي كتفها لا أن تصدر الأوامر بقلمها وتدير الشئون العامة في الدواوين .

وأنها من يوم أن تولد إلي يوم أن تموت تنتقل من رعاية رجل إلي رعاية آخر لأن الرجال قوامون علي النساء شرعا كما صور بعض هؤلاء

---

(١) وزارة التعليم العالي : المرأة المصرية في التعليم العالي ١٩٧٥ ، ص ١٩ .

(٢) اجلال خليفة : الحركة النسائية الحديثة ، قصة المرأة العربية علي أرض مصر ، ص ٨٤ .

للمرأة جمال خدرها وضرورة الاستقرار فيه ورأي بعضهم الآخر أن سبب شقاء الجنس البشري حواء التي أغوت آدم [١] ، ولم تقتصر معارضة تعليم المرأة علي الكتاب بل عارضه أيضا أمير الشعراء فقد شبه أحمد شوقي المرأة المصرية بالطير من حيث ضعفها وتقيدها بمشيئة الرجل ، وأنه يجب علي النساء التمسك بالحجاب صونا لعفافهن وذلك في قصيدته الموسومة بين الحجاب والسفور فأوضح لهن في شخص عصفور الكناريا أنهن محجوبات منحبسات لنفاستهن والخوف عليهن من عاديات الخارج وضرب لهن الأمثال للتحريض علي الخضوع للرجل فقال :

صداح يا ملك الكنار ... ويا أمير البلبل
حرصي عليك هوي ... ومن يحرز ثمينا يبخل
شهد الحياة مشوبة ... بالرق مثل الحنظل
ان طرت عن كنفي ... وقعت علي النسور مثل الجهل [٢]

وقد ردت احدي النساء علي هذه القصيدة معاتبة أمير الشعراء فقالت حكمت عليَّ أيها الشاعر بالأسر ونصحتني بالصبر ولم تدر أني فقدت كل صبر في حبسك اياي بدون داع فلم يعد لي شعور ولا إدراك بعد أن اغتصب مني حقي الطبيعي الذي دونه قتل النفس وازهاق الأرواح أيها الشاعر نسبت حالتي هذه إلي الطبيعة ، وما هي إلا نتائج حبك لأسري . أسرتني لأحررك ، أحزنتني لأفرحك . أناشدك الحق هل سمعت نحيبي داخل القفص وهل راقك منظري مكبلا بتلك السلاسل الحديدية [٣] .

وعلي كل حال فإن أمر مهاجمة سفور المرأة لم يقتصر علي الرجال بل أيد ذلك بعض النساء حتي اللائي أصبح لهن بعد ذلك شأن

---

(١) صحيفة العفاف : ابريل ١٩٢١ وديسمبر ١٩٢٢ .
(٢) أحمد شوقي : الشوقيات جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٢١٤ - ٢١٦ .
(٣) الجريدة : العدد ٩٨٥ في ٦ يونيو ١٩١٠ .

في مجال التعليم الجامعي ومن هؤلاء الدكتورة عائشة عبد الرحمن فقد ذكرت في بداية عهدها بالكتابة عن انطباعاتها عن نساء القاهرة عندما رأتهن لأول مرة في مقال تخيلت فيه أنها تخاطب صديقة لها فتقول « ستذهبين إلي القاهرة وتدخلين في دنيا جديدة وتشعرين بحال غريبة فتثور في نفسك ثورات كامنة لا عهد لك بها إذ تجدين الفتيات عاريات إلا ما يستر عوراتهن . . . كأنهن بين جدران مخادعهن أو من وراء ستار » .

أما مؤيدو تعليم المرأة فقد ذكروا أن انحطاط المرأة المصرية يعتبر دليلا علي انحطاط الرجل ، وأن المرأة خلقت مساوية للرجل في كل شيء وأنه يجب أن تنال من الحقوق ما يناله الرجال تماما .

وعلي كل حال فقد أدي احتجاج المعارضين لحركة التجديد وكانوا في ذلك الوقت قوة لا يستهان بها ، إلي ايقاف التدريس بالفرع النسائي بالجامعة خلال العام الدراسي ١٩١٢ - ١٩١٣ [١] ظل الحال علي هذا المنوال فترة طالت إلي ما بعد أن أصبحت الجامعة المصرية تابعة للحكومة فعلي الرغم من حصول بعض الفتيات علي البكالوريا التي تؤهلهن للالتحاق بالجامعة فإن الطريق كان شائكا وأبواب الجامعة كانت مغلقة في وجوههن ولولا مساندة بعض قادة الفكر من الرجال في ذلك الوقت أمثال أحمد لطفي السيد وطه حسين لما تحققت للمرأة فرصة التعليم الجامعي وتفاصيل ذلك أن بعض الفتيات لجأن إلي لطفي السيد مدير الجامعة يطلبن مساواتهن بالرجال في التعليم الجامعي ، وأن بعض عمداء الكليات وأساتذتها طلبوا أن تقبل الفتيات الحائزات علي البكالوريا في كلياتهم ، وكان طه حسين هو أول من عرض علي لطفي السيد قبول الطالبات في الجامعة ، وحين سأله لطفي السيد هل قانون الجامعة يمنع دخول البنات أجابه بأن القانون يقول ان الجامعة للمصريين ولم يحدد النوع . يضاف إلي ذلك أن بعض الصحف

(١) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة في ٢٩ ابريل ١٩١٣ ، ص ١٣ .

طالبت بضرورة أن يشمل التعليم الجامعي الفتيات ولكن الموقف لم يكن سهلا فقد كانت هذه المسألة شائكة خصوصا وأن أنصار هذا الرأي بالنسبة للرأي العام ككل كانوا قلة وكان الأمر يستلزم التريث والتزام التكتم وعدم مناقشته أو عرضه علي الرأي العام حتي لا يثور المتزمتون ويتعقد الموقف ، وفي غفلة من هؤلاء وضعت الجامعة الرأي العام والحكومة أمام الأمر الواقع عندما فتحت كلية الآداب أبوابها للطالبات ودخلتها أربعة هن سهير القلماوي وفاطمة سالم سيف ، وفاطمة فهمي خليل ، وزهيره عبد العزيز .

ويتضح ذلك فيما كتبه لطفي السيد في مذكراته إذ يقول لا أخفي أننا قبلنا الطالبات أعضاء في الأسرة الجامعية في غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا اختلاط الشباب باخواتهن في الدرس [١] .

وعلي كل حال فإن هذا الاجراء كان بمثابة ثورة فكرية وتعليمية أحدثت ضجة شديدة في أوساط المحافظين ولكن سنة التطور الاجتماعي كانت فوق هذه الضجة التي كانت سحابة صيف لم تلبث أن ذهب بها الزمان وأصبحت في خبر كان .

فسارت كليات الحقوق والعلوم والطب ـ وكانت هذه الكليات التي تضمها الجامعة في ذلك الوقت ـ علي منوال كلية الآداب فوافقت كل منها علي قبول الطالبات فدخلت الحقوق الطالبة نعيمة الأيوبي أما كلية العلوم فقد التحقت بها ثمانية طالبات منهن نفيسة سماحة وعايدة انطون والتحقت بكلية الطب أربع طالبات هن نفيسة محمد ، وفاطمة حسن ، وزينب ابراهيم ، وحكمت البدري ومع أن التحاق الطالبات بهذه الكليات كان أمرا طبيعيا إلا أنه أثار الكثير من النقاش والجدل داخل الجامعة وخارجها وقد فقدت المرأة معضديها داخل الجامعة نتيجة لاقالة الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب في عهد وزارة صدقي [٢] ثم تقديم لطفي السيد

(١) أحمد لطفي السيد : قصة حياتي ، القاهرة ، كتاب الهلال ، مايو ١٩٨٢ ،ص ١٨٣.
(٢) للتفاصيل انظر كتابنا : ه حسين والجامعة المصرية .

استقالته من منصبه كمدير للجامعة عام ١٩٣٢ احتجاجا علي تدخل السلطات في شئون الجامعة بنقلها طه حسين إلي وظيفة خارج الجامعة علي غير ارادتها وقد يعزي إلي ذلك تأخر دخول الفتيات للكليات الأخري بعض الوقت فقد ظلت كلية الهندسة والزراعة ممتنعين عن قبول الفتيات فترة وسارت علي هذا المنوال كلية التجارة ولكن لم تلبث اليقظة الزاحفة أن طغت علي الأفكار القديمة فغزت المرأة تلك الحصون التي كان يحتكرها الرجل ففتحت أبواب هذه الكليات للطالبات ، فدخلنها واستطعن أن يحصلن علي نتائج تبعث علي التفاؤل وتدريجيا ضمت كليات الجامعة الفتيات ، ولم يتأخر في ذلك سوي كلية دار العلوم التي لم تفتح أبوابها للفتيات إلا في العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ أي بعد ضمها إلي جامعة القاهرة .

وإلي جانب اتاحة التعليم العالي للفتاة بجميع صوره وتخصصاته رؤي ضرورة توافر نوعية معينة من التعليم الجامعي تفي باحتياجات الأسر المحافظة التي لا ترغب في اختلاط بناتها مع الشبان ومن هنا أنشئت كلية البنات عام ١٩٥٠ وأصبحت احدي كليات جامعة عين شمس عام ١٩٥٦ وكانت قبلا معهد التربية للمعلمات وفي العام الدراسي ١٩٦٢ / ١٩٦٣ أنشئت كلية البنات الاسلامية جامعة الأزهر وبذلك دخلت المرأة مجالا جديدا من التعليم العالي والتعليم الديني [١] .

وأخذ عدد الطالبات اللائي يلتحقن بالجامعة في التزايد فبعد أن كان عددهن في عام ١٩٢٩ وهي السنة التي قدر لهن فيها السماح بدخول الجامعة سبعة عشر طالبة تجاوز الآن ١٣٨ ألف طالبة .

وبعد أن كان عدد الملتحقات بالجامعة في عام ١٩٢٩ ثمانية بكلية العلوم وأربعة بكلية الآداب ، وأربعة بكلية الطب وطالبة واحدة بكلية

---

(١) وزارة التعليم العالي : المرأة المصرية والتعليم العالي ، ص ٤٤ .

الحقـــوق أصبح عددهن في كليات الآداب فقط حتي عام ١٩٧٩ ٢٤ ألف طالبة [١] .

وعن اختلاط الطالبات بالطلبة داخل الجامعة فقد تحاشت الطالبات في أول دخـولهن الجـامـعـة أي صلة تربطهن بالطلبـة ، ودخلن قـاعـات المحاضرات مغطيات الرءوس وأمتنعن عن الاقتراب من الأماكن التي يتواجد فيهـا الطلاب وتجاهلن التحيات الموجهة إليهن ، ورفضن الاشتراك في مناقشة الأساتذة خلال الدرس ، وقد حاول الدكتور طه حسين أثناء عمادته لكلية الآداب تشجيع الاختلاط بين الطالبات والطلبة ففي الحفل الذي أقامته الكلية في نادي الجامعة بمناسبة النجاح الذي أحرزه مشروع القرش في فبراير ١٩٣٢ نشرت جريدة الأهرام صورة تظهر طلبة الكلية حول عميدهم طه حسين وقد جلست كل طالبة بجانب طالب [٢] مما أثار الرأي العـام وتوتر موقفه من الجامعة أكثر مما كان فحمل أحد أعضاء مجلس النواب حملة شديدة في البرلمان ضد د. طه حسين وموقفه من هذا الاختلاط وعلي كل حال فإن رهبة الطالبات من الاختلاط بزملائهم الطلاب لم تستمر طويلا ففي أول محنة تعرض لها استقلال الجامعة بفصل الدكتور طه حسين علي غير ارادته من الجامعة خرجت الطالبات من عزلتهن وثرن مع الثائرين ، وارتفعت أصواتهن لأول مـرة تخطب وتحـمس وتدعـو إلي النضـال انقـاذا لاستقلال الجامعة من تلاعب الأهواء [٣] وكان اشتراكهن في المظاهرات دافعا لزيادة حماس الطلاب ، كما ظهرت لدي بعض الطالبات القدرة علي اقناع زملائهن الطلبة للعدول عن بعض المواقف ويكفي للتدليل علي ذلك أنه في أثناء الاضراب نادي عميد الحقوق الطالبة نعيمة الأيوبي ودعاها إلي اقناع زملائها بوقف الاضراب والعمل علي اعادة النظام فعادت الأمور إلي نصابها .

---

(١) المركز القومي للبحوث التربوية : المرأة والتعليم في جمهورية مصر العربية ، ص ٤٩ .
(٢) الأهرام : العدد ١٦٩٥٩ في ٢٣ فبراير ١٩٣٢ .
(٣) مضابط مجلس النواب : الجلسة التاسعة عشرة في ٧ مارس ١٩٣٢ ، ص ٢٥٨ .

وبدأت طالبات الجامعة يتطلعن إلي المزيد من الحرية فمارسن الألعاب الرياضية خصوصا لعبة التنس وبدأ ذلك في كلية الآداب عندما ظهرت طالبة في ملعب التنس .

ورغم ثورة الرأي العام علي هذه الحرية التي اتيحت لفتاة الجامعة ، ورغم الاحتجاجات الشديدة التي وصل مداها إلي القصر الملكي بخصوص ممارسة الطالبات للألعاب الرياضية في الجامعة فقد استمرت المسيرة النسائية نحو المزيد من الحرية فأخذت ملاعب الجامعة تكتظ بالطالبات من مختلف الكليات ، ولم يقتصر ذلك علي التنس بل تطرق إلي كرة السلة وغيرها من الألعاب .

ورغم كل ذلك فقد كانت بعض الطالبات يحسبن ألف حساب لمعارضي تحررهن داخل الجامعة ويتضح ذلك في تأخر دخولهن اتحاد الطلاب بالجامعة ، فالبرغم من أن هذا الاتحاد منح حق العضوية للطالبات إلا أنهن لم يرشحن أنفسهن في عام ١٩٣١ رغم تشجيع البعض لهن ، وقد أعربت احدي الطالبات عن سبب ذلك بقولها « اني أجد في ذلك مجازفة كبري لما تكنه قلوب المعارضين من تهكم وسخرية [١] .

ولكن هذه الرهبة لم تستمر طويلا فقد شاركت الطالبات الطلاب في أنشطتهم الاجتماعية فعندما انشئت جماعة النهضة الاجتماعية في كلية العلوم عام ١٩٣٧ بهدف جمع التبرعات من الطلاب الأغنياء وتوزيعها علي زملائهم الفقراء وأقيمت سوق خيرية في الجامعة من أجل هذا الغرض قامت الطالبات بعرض أشغال من صنعهن في هذه السوق وساهمن في جمع التبرعات من الآخرين .

يضاف إلي ذلك قيام الفتيات بالاشتراك في المناظرات والمحاضرات التي أقيمت داخل وخارج الجامعة .

---

(١) صحيفة الجامعة المصرية : العدد الرابع ابريل ١٩٣١ ، ص ٥٦ – ٥٨ .

وعلي كل حال فقد أدي دخول الفتاة المصرية الجامعة إلي اثبات وجودها ، وبانها لا تقل قدرة وكفاءة عن الفتاة الأوربية ، كما أنها لا تقل ذكاء ومقدرة عن الرجل .

وفي عام ١٩٣٣ تخرجت أول دفعة من طالبات الجامعة المصرية وكانت مكونة من نعيمة الأيوبي من كلية الحقوق وسهير القلماوي ، وفاطمة سالم ، وفاطمةخليل من كلية الآداب ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل أن كلية الآداب ضمت ثلاثة منهن نواة لأعضاء هيئة التدريس بها وهن سهير القلماوي في اللغة العربية ودرية فهمي للانجليزية وفاطمة سالم للدراسات القديمة [١] .

وقد أثبتت خريجات الجامعة من الفتيات القدرة علي منافسة الرجال في الحصول علي الدرجات العالية وتولي المناصب الأكاديمية في الجامعة نفسها ، وإذا نظرنا إلي المكانة التي تحتلها المرأة في الجامعة حاليا يتضح أنها تشغل جميع المناصب الأكاديمية فيها علي اختلاف أنواعها ابتداء من وظيفة معيد إلي رئيس قسم وعميد .

ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل واكبه ايفاد الفتيات المصريات في بعثات الي الخارج للتأهيل في التخصصات غير المتوافرة في الجامعات ، وكذلك التخصصات العالية التي تؤهلهن للتدريس في الجامعات الي جانب التأهيل اللغوي في اللغات الانجليزية والفرنسية لاعداد مدرسات وطنيات يحللن محل الأجنبيات .

وبعد أن أثبتت الفتاة الجامعية مقدرتها علي المساواة بالرجل كان عليها أن تواجه معركة أخري وهي الحصول علي وظيفة والخروج إلي معترك الحياة العملية ولكن بعض العائلات استنكرت ذلك ورأت أنه من الخير للفتاة الجامعية ألا تزج بنفسها في ميدان العمل من غير تسلح

---

(١) المقتطف : أول يناير ١٩٣٧ ، ص ٢٤ .

ولا استعداد وأنه من الأفضل بعد تخرجها الاستفادة بها بتزويجها لتكون نواة صالحة للبيت المصري الحديث خصوصا وأن مشاكل المتعلمين المتعطلين ستزداد سوءا إذا ما شاركت الفتاة الرجل في الحياة العامة [١] .

يضاف إلي ذلك أن المعارضين لسفور المرأة وخروجها إلي مجال العمل قاموا بحملة شديدة لوقف تيار حصول المرأة علي وظيفة واتبع بعضهم في ذلك الاسلوب اللاذع الذي يستنهض همم الرجال ويدفعهم إلي معارضة تشغيل النساء ونقتطف في هذا المقام بعض ما جاء في مجلة كل شيء والدنيا في يوليو ١٩٣٢ فأعلا توقيع فضولي ذكرت هذه الأبيات :

حلقت رجالكم اللحي ... لما علا أمر النساء
والآن ترتزق النساء ... وتأكلون بلا عناء
فليلحق الموسي الشوارب ... انها منكم براء [٢]

وبالرغم من كل ذلك فقد كان هناك رأي آخر يري أنه لا مانع من اشتغال الفتاة بعد تخرجها لتجاهد بجانب الرجل فيستفيد منها المجتمع أكثر من ركونها إلي الحياة المنزلية لأنه لا معني أن تعد الفتاة للحياة ، ثم تحرم من العمل بعد هذا الاعداد .

وتحفظ البعض نحو هذا الموضوع فرأي توجيه الفتيات بعد تخرجهن إلي الأعمال التي تتناسب مع قدراتهن والتي يختلفن فيها عن الرجال . وأخيرا رجحت كفة المؤيدين لدخول المرأة مجال العمل فعندما رغبت نعيمة الأيوبي أولي خريجات كلية الحقوق في العمل بالمحاماة ترددت لجنة قبول المحامين في الموافقة علي قيد اسمها في أول الأمر ، ثم انتهي الخلاف بين أعضائها بانتصار جبهة المؤيدين لقبولها وعلي كل حال فالملاحظ أن الذي

---

(١) الدستور : العدد ٣٩٣ في ١٦ ابريل ١٩٣٩ .
(٢) كل شيء والدنيا : عدد ٩ يوليو ١٩٣٢ .

دافع عن المرأة المصرية وتعليمها الجامعي ثم خروجها إلي مجال العمل ومساواتها بالرجل كان الرجال لا النساء أصحاب الشأن في هذا الموضوع ويبدو ذلك واضحا من الالتماسات التي قدمت الي القصر الملكي والتي يعرب فيها أصحابها عن استيائهم من المحاضرات التي يلقيها بعض الرجال مثل محمود عزمي أفندي والدكتور ميخائيل فرج ومحمد توفيق دياب ، داخل الحرم الجامعي ، ودعوتهم للمساواة بين المرأة والرجل وعلي كل حال فإنه بمضي الوقت دخلت المرأة مجال العمل ، وعملت في جميع الوظائف العامة وأصبحنا نسمع عن أسماء مصريات برزن في كافة ميادين الحياة حتي وصلن إلي منصب الوزارة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل خروج المرأة إلي مجال العمل بحكم حركة التطور والانتقال التي يمر بها المجتمع قد أثر علي شخصيتها الاجتماعية ايجابا أم سلبا ؟

لقد أظهرت دراسة نفسية اجتماعية حديثة أن خروج المرأة إلي مجال العمل برغم ما قد يترتب عليه من آثار سلبية علي أدائها كزوجة وكأم أي علي أدوارها التقليدية كأنثي فإنه قد أضاف أدوارا جديدة إلي أدوارها السابقة فأدي الي انضاج شخصيتها ، وزاد من ثقتها في نفسها واكسبها قدرا من المرونة وحسن التصرف في المواقف الاجتماعية التي تتعرض لها يضاف إلي ذلك أنه كلما زاد مستوي التعليم عند المرأة زادت قدرتها علي التخلص من الآثار السلبية لخروجها إلي العمل ومكنها من التخلص من آثار الصراع الذي ينشأ لديها نتيجة لأدوارها المتعددة خاصة في ظل ظروف مجتمع يمر بمرحلة انتقالية كمجتمعنا [١] .

---

(١) د. محمد سلامة آدم : المرأة بين البيت والعمل ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٢ ، ص ٨٥ .

وهكذا أسهم التعليم الجامعي في اعداد المرأة المصرية اعدادا أتاح لها الخوض في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر والتجاوب مع حركة تجديد المجتمع والتفاعل معها ، ولكن يجب أن يعترف النساء بأن وراء ذلك كانت جهود بذلها بعض الرجال الذين وقفوا بجانب المرأة ودافعوا عن حقوقها .

وكذلك استطاعت الجامعة تحويل النصف الآخر من المجتمع إلي قوة مثقفة عاملة ومنتجة في كافة ميادين الحياة ، تساهم فيما يصبو إليه الوطن من مراقي التقدم بين الأمم الناهضة .

* * * * *

openkan.com